الوَاسِعُ

من أسماء الله الحسنى الواسِع ، فكلمة الواسع مُشتقّة من السَّعة ، والسَّعة تُضاف إلى العِلم إذا اتَّسَع وأحاط بالمعلومات الكثيرة ، وتُضاف مرةً أخرى إلى الإحسان وبَسْط النَّعَم .

يقول أحد العلماء في أسماء الله الحسنى « **اسم الواسع وهو الذي وَسِع غِناهُ كل فقير ورحمته كل شيء** » ، أحياناً تطلب من إنسان مبلغاً يقول لك : هذا فوق طاقتي إذْ إن دائرة مالِه لا تتَّسِع لهذا الإنفاق ، وأحياناً تطلب من إنسان أن يُعينَك فَيَقول لك هذا أمر لا أقدِر عليه فوق طاقتي ولا تتَّسِع له سُلطتي ووَجاهتي ، وأحياناً تسأله سؤالاً يقول لك لا أدري هذا لم يَبْلُغْه عِلمي فالإنسان محدود ؛ محدود في عِلمِه ، ومحدود في قدرتِه وماله وجاهِه وكل إنسان هناك من هو فوقَه .

إلاّ أن الله سبحانه وتعالى هو الواسع فَرَحْمَتُه وسِعت كل شيء وغِناه وسِع كل فقير وإحسانه شمل كل مخلوق ، فلا تضيق دائرة علمه عن شيء ولا تضيق دائرة إحسانِه عن أيِّ شيء ولا تضيق دائرة قوَّتِه عما دونه ، فقُوَّته تتعلق بِكل ممكن وإحسانه يتعلق بِكل ممكن وعِلمه يتعلق بِكل ممكن ، فَكَلِمة واسِع وسِعت رحمتي كل شيء وسِع عِلمي

كل شيء ووسِعت قدرتي كل شيء ووسِع غِناي كل شيء ، لِذلك قيل الواسِع هو الذي لا نِهايَة لِسُلْطانِه فَنَحن لا نستطيع تصوُّر اللانِهائي فالطريق له نِهاية وهذه المجرّة لها نهاية وهذا الغني مهما عظُم ماله ينتهي عند رقمٍ وهذا الإنسان مهما بلَغ من جاهِه هناك شيء لا يستطيعُه مثلاً ؛ أمهر طبيب بِالعالم إذا مات المريض هل يُمكِنه أن يعيد له الحياة ؟ هذا شيء فوق طاقَتِه :

إنّ الطبيـب لـه عِلـم يُـدلّ بـه إن كان للناس في الآجال تأخير
حتى إذا ما انتهت أيام رِحلتِه حـار الطبيـب وخـانتْه العقـاقير

إذًا فالواسِع هو الذي لا نِهاية لِسُلْطانِه ، وبِالمناسبة الإنسان مهيَّأ ليتعرّف إلى الله إذْ لا تملأ نفسه إلا معرفة الله أيّ شيء دون الله عزّ وجل بعد حينٍ يَمَلّ منه ، يُحيط به أولاً وينتهي من التفكير فيه ؛ لِذلك حينما يغفل الإنسان عن الله عز وجل بعد أن تتحدّد دنياه يشعُر بِخيبَة الأمل ويشعر بالسّأم والضجر لا لِشيءٍ إلا لأن نفسه مخلوقة لِتَعْرِف اللانِهائي وتعرِف المطلق ، فإذا شغلها بِغَير المطلق وهو النِّهائي والمحدود سئِمت هذا المحدود وملَّته وضجِرت منه ، وقد تلاحِظ ببساطة أنّ الإنسان حينما كان شاباً يعيش بِالأحلام يتصوّر بيتًا مُعَيّنًا ويتمنى زوجة معيّنة ومرْكَبة معيّنة ، فإذا وصل إلى نِهاية أهدافِه وتحدّدت حِرْفته وبيته وزوجته ودخْلُه وحُجُّم في آماله وأحلامه ، وصارتْ نفسك مصمّمة لِتَعرِف غير المحدود والمطلق واللانِهائي ، لكنك شغلْتَها بِالمحدود ، فالمحدود تسْتَوْعِبه سريعاً وتمَلّ منه .

لن تسعد في الدنيا إلا إذا تطلَّعت إلى الله عز وجل وإلا إذا كان الهدف هو الله ، إلهي أنت مقصودي ورِضاك مطلوبي ما سِوى الله يُمَلّ

وما سِواه تسأمه النفس وقد تتبرّم به فهو محدود ، لكن النفس متشوّقة أبدًا لِذلك الواسِع الذي لا نِهاية لِسُلْطانه والواسِع الذي لا حدّ لإحسانِه ، فلا يُحَدّ غِناه ولا تنْفَد عطاياه ولا يشغله معلوم عن معلوم ولا شأنٌ عن شأن .

أحياناً يتحدّث إليك شخص فَتَقول لشخص آخر يريد أن يكلمك في أمر ما : انتظر إلى أن ينتهي من حديثه هذا كي أتمكّن من الفهم منك فلا يتَّسِع إدراكه لِسَماعِ صوتين ولا إلى أن ينصرِف إلى جِهتين فهو غير واسِع ، أما ربنا عزّ وجل فمعنى أنه واسع أيْ لا يشغله معلوم عن معلوم ولا شأنٌ عن شأن ، لو أنّ كل العِباد دَعَوْهُ في وقتٍ واحدٍ لَسَمِعهم جميعاً ، فإذا دعا الإنسان ربه واستجاب له وسمِع دعاءه هناك من يظن أن الله سمِعه وحده ، ففي هذه اللحظة التي دعَوْت الله فيها كم مِن إنسان دعا الله تعالى فيها ؟! فإذا استَيْقظت إلى صلاة الفجر وذهبت إلى المسجِد ، وبعد الصلاة دَعَوْت الله ، فعلى مستوى البلد الواحد تجد آلاف المصلين في المساجد وبعد الفجر يقبل المصلون على ربهم بالدعاء ، وكل إنسان يتوجه إلى الله متوسلاً ، وكلهم يسمعهم سبحانه في اللحظة ذاتها ، على حين أن الإنسان لا يستطيع أن ينصَرف إلى جهتين معاً ، حتى في علم النفس يقولون : إن الذي يبدو لك أنه يستمع إلى شخصين معاً إيّاك أن تصدِّق ذلك وإنما عنده ما يسمى سرعة التحوّل ، أما أن يستطيع أن يستوعِب حديثين معاً أوثلاثة فهذا غير ممكن ، ففي سَهرة مثلاً تجد كل اثنين يتكلمان معاً فهل تستطيع أن تستوعب ما يقوله كل من يتحدّث ؟ لا تستطيع إذْ إنك لو انصرفت إلى شخصين نسيت الآخرين ، لكنّ الله عز وجل واسِع لا يشغله معلوم عن معلوم ولا شأن عن شأن ولا حال عن حال .

وقيل : الواسِع هو العالم المحيط علمه بِكل شيء وسِع علمه كل شيء ، أحياناً تركب بِمَركبة فترى كلّ شيءٍ أمامك مكشوفًا أما خلفك ما دون زاوية النظر فلا تستطيع أن تحيط به ، لِحِكمة أرادها الله عز وجل ، عينا الطائر تُغَطِّيان ثلاثمئة وستين درجة ولكن قد لا تغطي تحته فهذه ثلاثمئة وستون درجة مستوِية والإنسان سمعه محدود ، وبصره محدود ، وقدرته محدودة وإحسانه محدود .

وقيل هو الذي وسِع بِعِلمه جميع المعلومات ووَسِعت قدرته كل المقدورات واسِع الرحمة والغِنى والسلطان والعِلم والقدرة والإحسان .

وقيل هو الذي لا حدود لِمدلول أسمائه وصِفاته ـ هذا معنى جديد ـ فاسم الرحيم ليس له حدود ، واسم الكريم ليس له حدود ، واسم الغني والقوي كذلك وما معنى الله أكبر ؟ مهما عرفت عن أسمائه الحسنى فهو أكبر من ذلك .

زيد بن مهلهل بن زيد الطائي قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد طيء سنة تسع فأسلم وسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد الخير وقال له : « ما وصف لي أحد في الجاهلية فرأيته في الإسلام إلا رأيته دون الصفة غيرك » .

أحياناً يقول لك الإنسان : المكان الفلاني قطعة من الجنة تذهب إليه وفي ذهنك تصوّر متنامٍ فإذا بك تجده أقل بكثير مما وُصِف لك .

وقال ابن المبارك : ما وصف لي أحد ورأيته إلا كانت رؤيته دون صفته إلا حيوة بن شريح فإن رؤيته كانت أكبر من صفته .

وقال مروان بن محمد : ما رأيت فيمن لقيت أخشع من وكيع

وما وصف لي أحد قط إلا رأيته دون الصفة إلا وكيع فإني رأيته فوق ما وصف لي .

لقد كان أحد الصحفيين يعمل في حقل الإعلام فكان إذا أراد أن يلتقي مع أديب يقرأ له الكثير قبل لِقائه به ، وهذا الأديب أو الشاعر لا يظن أن هذا الصحفي يعرف عنه الكثير فإذا التقى به وسأله وأجاب جواباً غير علمي يرد عليه بِتحفّظ ويقول : قاله أحد النقاد فَيَنْكَمش وَيَنْكَمش ولما عوتب هذا الذي يُجري هذه البرامج : لماذا تحرج السائلين بِهذه الطريقة ؟ قال : لأنني أحب أن أعيدهم إلى حجمهم الطبيعي .

فالإنسان له حجم إلا أنّ هناك أشخاصاً لهم القدرة على الظهور بِأحجام أكبر من أحجامِهم ، أما في بعض الظروف الصعبة فإنهم يُحَجَّمون ويعودون إلى حجمهم الأصلي وكل إنسان له حجم وله سقف ، فعندما ذكر ربنا عز وجل مقالة سيدنا عيسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام :

﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[المائدة: ١١٨] .

فلو أننا وقفنا عند قوله تعالى : ﴿ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ ﴾ يظن المرء أن ختام الآية فإنك أنت الغفور الرحيم ، وليس كذلك بل قال : ﴿ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ قال بعض العلماء : « **ما من إنسانٍ يعفو إلا ويُسْأل لِماذا عَفَوْت** » ، هل بِإمكان موظف أن يطوي تكْليفاً لِمكلَّف بِضريبة معيَّنة ؟ إذا طوى ضريبة وأعْفاه منها كُلِّياً يُسأل لماذا أعْفَيْتَه ؟ فالإنسان إذا أراد أن يعفوَ قد يكون عفوُه مأخذاً عليه أما الإله العظيم : ﴿ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ لا يستطيع مخلوق أن يسألك لِماذا

عفوْت عنه ؟ : ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ .

وكثيرًا ما تأتي خواتيم الآيات على غير ما نتوقَّع قال تعالى :

﴿ سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الإسراء : ١] .

فما دام الذي أسرى بعبدهِ ليلاً فالسياق يتطلّب وهو على كل شيء قدير ، لكن ختمت الآية إنه هو السميع البصير ، يا رب ما علاقة هاتين الكلمتين اللتين هما اسمان من أسمائك الحُسنى بمضمون الآية ؟ فالنبي عليه الصلاة والسلام ماذا قال في الطائف ؟ قال : « **إن لم يكن بِك غضب عليّ فلا أبالي... لك العتبى حتى ترضى** » سمع الله دعاءه بالطائف فكان الرد الإلهي هذا التكريم ، أي يا محمد سمِعْنا دعاءك في الطائف وهذا هو الجواب أنت الآن مُكرّم وقد أُريت ملكوت السموات والأرض ، وقد نِلْتَ المقام الأول الذي لا يكون إلا لِواحِدٍ من خلقي ، فَختام الآيات له معنى دقيق ودقيق .

فمعْنى الواسِع أن رحمته لا حدَّ لها ، وعلمه لا حد له وقدرته لا حد لها فهذا الاسم إذاً تعلّق بِكل أسماء الله كاسم الرحمن قال تعالى :

﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَـٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء : ١١٠] .

اسم الواسع متعلق بكل أسمائه ، قال : واسِع المغفِرة وقيل الواسِع الذي لا حدود لِمدلول أسمائه وصِفاته ؛ واسع العلم وواسع المغفرة وواسع الرحمة وواسع الملك .

بعض العلماء الذين تحدّثوا عن أسماء الله الحُسنى ذكروا أن الواسع الذي لا نِهاية لِبرهانه ولا غاية في سلطانه فهو واسِع في علمه فلا يجهل فأعلم عالم يقول لك مثلاً : غابت فكرة عني ويُؤلف كتاباً وبعد عشر سنوات تكون هناك مؤاخذات في الطبعة الثانية ، غابت عنه هذه الحقيقة وهذه الفكرة ، حتى الأئمة الكِبار أبو حنيفة النعمان غاب عنه حديث شريف ولو اطّلع عليه لأدْلى بِحكمٍ آخر غير الحُكم الذي حَكَمَ به في موضوع الوقف ؛ وفوق كل ذي عِلمٍ عليم ، فالواسع الذي لا نهاية لِبُرهانه ولا غاية لِسُلطانه ، واسِع في علمه فلا يجهل ، وواسِع في قدرته فلا يعجل ، والله قدير ، والإنسان أحياناً يرى بعض المنحرفين يتحدّثون بِكلامٍ قبيح ، ويتحدَّون الذات الإلهية وينطِقون بِالكفر ، والله جلّ جلاله بِقُدرته أن يسحقهم في ثانية واحدة فهو واسِع في علمه فلا يجهل ، وواسِع في قدرته فلا يعجل ، وهو المعطي الذي لا يسأل وهو الكريم فلا يبخل وهو الحليم فلا يعجل ، فالإنسان أحياناً يعجل فَيَنْدم ، فالله هو المعطي الذي لا يسأل ، وهو الكريم فلا يبخل وهو الحليم فلا يعجل ، وإذا أعطى أدهش .

قيل هو الواسِع في علمه فلا يجهل ، وواسِع في قدرته فلا يعجل ، وقيل : الواسع الذي لا يعزب عنه أثر الخواطر في الضمائر ، أنت قد تتأمل إنساناً وتتأمل قِوامه ، ولون جِلدهِ ، ولَون عَينَيه ولون شعره ، وثِيابه وألوان ثِيابه وأناقَتَه ، وانسِجام الألوان في ثِيابِه ، وحركته ونظرته ولَفْتَته ونبْرة كلامه ، لكن هل تستطيع أن تكشِف بِماذا يفكِّر ؟ أو ما الذي يخطر بِبالِه ؟ لايمكن ، إذاً دائرة معلوماتك محدودة وقفت هنا ، أما الواسع فهو الذي لا يعزب عنه أثر الخواطر

في الضمائر ، فَكُل الخواطر التي تخطرعلى بالك هي في علم الله عز وجل .

وقيل الواسع الذي أفضالُه شامِلة وعطاياه كامِلة ؛ إذا أعطى أدهش كما قيل الواسع هو المطلق ، فَنَحن عِندنا محدود ومطلق ، فما سِوى الله محدود ، لكن هذا المحدود بالنسبة لنا غير محدود .

فالآن بعد مئات السنين من البحث والتأمل وصُنع المناظير العِملاقة والمراصِد الجبارة هل تصدِّقون أيها القراء الكرام أن بعض عدسات المراصِد يستمر تبريدها خمسة عشر عاماً ، هناك مَرْصد بِأمريكا استمرت مدة تبريده خمسة عشر عاماً من أجل أن يأتينا بِبَعض الكواكب التي لا تُرى بِالمناظير الصغيرة ومع ذلك يقولون لك : وصلنا إلى مجرّة تبعد عنّا عِشرين مليار سنة ضوئيّة!! تقول لهم يا تُرى هل هناك مجرّة أبعد من هذا ؟ يقولون لك نعم لكن عِلمنا وصل إلى هذا الحد ، فهذا الكون الذي نعيش فيه هو نظرِياً محدود ، فما سِوى الله محدود ، والله مُطلق ، والكوْن بِالنِّسبة إلى الله محدود بينما هو بالنِّسبة إلينا غير محدود ، فَكيف خالق الكَون ؟

مَثَلاً من باب التوضيح وضعنا رقم (واحدٌ) في دمشق ولو وضعنا عند نقطة بِدايته صِفراً ولفَّ هذا المرء العالم كم سَيَكون بينه وبين النقطة التي ينتهي إليها والتي هي منطلق بِدايته ؟ لو أردت أن تحسِب هذا الرقم لَوَجَدْت أنه رقم خيالي ومع ذلك هو لا يساوي شيئاً مع اللانهاية ، فأكبر عدد على الإطلاق إذا نُسِب إلى اللا نِهاية فهو صِفر ، موضوع الأبد لا يستطيع العقل إدراكه فالجنة أبدية ، والإله لا نِهاية له ، وما سواه محدود .

قال بعض العارفين : والله يا رب لو تشابهت ورقتا زيتون ما سُميت الواسِع ، فالأرض تحمل ستة آلاف مليون إنسان ، ولْنُجْرِ إحصاءً على مستوى بلد واحد ، فهل هناك وَجْهٌ يشبِه وجهاً ؟ حتى لقد قيل لي : لو جِئنا بِآلة تصوير ملوَّنة ذات حساسية للألوان التي في البشر فلا تستطيع هذه الآلة أن تظهر الفروق التي بين الأشخاص ، إذْ إن كل شخصٍ له لَوْن ، أما هذه الآلة فقد تظهر مئة شخصٍ بِلَونين أو ثلاثة فقط ، في حين أن كل شخصٍ له لون ونبْرَة صوت ورائحة جسم وكيمياء دم وهي البلازما وله شكل بِالقُزحِيّة وله بصمة وزُمرة نسيجية ، فأنت لا تُشبِه في العالم كلِّه إلا واحداً ، فالعلماء اكتشفوا الآن مليونين ونِصف مليون زمرة نسيجية ، إذًا الله واسع ؟

ائتِ بِالمهندس وقُل له صَمِّم لي بِناءً تجد أن تصميمه لهذا محدود ، كذلك لو رأيت المركبات هذه زاويتها حادة وبعد سنة منحنية وفي عام ثالث تصمم ولها خطوط . إلخ ، فَتَجد أن الإنسان محدود إبداعه ، لكن تصوّر كم ورقة نبات في الأرض ؟ هناك ورقة إبرية وتلك مسنَّنة إلخ ، ألف نوع من النبات الذي لا يُعد ولا يُحصى ، وهذا النبات الذي يُوضع بالردهة أو بالليوان له خصائصه التي ينفرد بها ، فالواسع الذي لا حدود لإبداعه ، ونحن إبداعنا محدود ، ولو قيل لنا اكتَشفنا إنساناً في المريخ لكان شكله معروفاً لدينا ؛ رأس ورجلين ويدين ، وبِالبحر مليون نوع من السمك فهناك سمك بِشكل زهور وسمك شفاف ترى أمعاءه بِداخِله والآخر أسود فاحِم ، وهناك من السمك الذي يلقي سحابة أمامه دِفاعاً عن نفسه وهناك الذي يلقي تياراً كهربائياً بقوة ستة آلاف فولت ، شيء عجيب ، وأنواع الطيور لا تُعد ولا تُحصى ، والزواحِف والوُرود ، مرّة أوضح

مثل وُجوه البشر كلها ذات أنفٍ وعينين وفم ، فهل تستطيع أن تصنع خمسة آلاف مليون وجه دون تكرار ؟ هذه البصمة يمكن أن نكبِّرها على مستوى متر مربع ، ولو عرضنا خمسة عشرة ألف بصمة لا يُمكن أن تتشابه بصمتان ، والبصمة تحوي مئة نقطة فلو تشابهت سبع نِقاط لَكانتا لإنسان واحدٍ ومع ذلك هناك جزر وفروع وأغصان وخُلجان ورؤوس كل هذا بِالبصمة ، وبعض المجرمين استغل هذا الأمر واستأصلوها وضعوا من لحمهم رقعَةً حتى إذا ارتكبوا جريمة لا يعودون إليهم وبعد حين ظهرت على النسيج الذي وُضِع كرقعة خطوطُ البصمةِ الأصلية قال تعالى :

﴿ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ﴾ [القيامة : ٤] .

البصمة تقوم عند كل إنسان مقام التوقيع ، وهناك الآن بعض الأقفال لا تفتح إلا على قزحيّة العَين نظَراً لأنه ليس في الأرض إنسان واحد يشبهك في قُزحِيَّة العَين ، إذْ ينعدم في الأرض وجود تشابه قُزَحِيتين لإنسان ، فالواسِع لاحدود له ، وكل أسمائِه لا حدود لها ، في حين أن المخلوق محدود .

فالله هو الواسِع ؛ إذا نظرنا إلى عِلمه فلا ساحِل لِبَحر علومه ، وإذا نظرنا إلى إحسانه ونِعَمِه فلا نِهاية لإحسانه ، وكل سَعَة وإن عظمت تنتهي إلى طرف ، فأكبر محيط هو المحيط الهادي ، فلو رَكِبته تصل بعد شهرين إلى شاطىء حيث ينتهي المحِيط الهادي ، والقمر وصل إليه رُواد الفضاء وكذلك المشتَري وصلوا إليه ، فكل شيء مهما بدا لك واسِعاً له حدّ ونِهاية .

ولنا من بعد وقفة مع الآيات الكريمة التي ورد فيها اسم الواسِع

قال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ١١٥] .

وقال تعالى :

﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٤٧] .

في الآيتين السابقتين اقترنت السَّعةُ بِعِلمِه ، وكذلك في الآية التالية ، قال تعالى :

﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٦١] .

علِم إخلاصَك في هذا الإنفاق فهو واسع في عطائه لك ، وواسع في عِلمه فلا يعزب عنه مثقال ذرة ، قال تعالى :

﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٦٨] .

وقال تعالى : ﴿ وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [آل عمران : ٧٣] .

هنا معنى دقيق الدلالة ، ففي الحياة الاجتماعية والوظيفية هناك مناصِب ؛ فهناك مدير دائرة ، وهناك موظف بالدرجة العاشِرة وهذا المنصب يقال لك : شُغِل ولا سبيل للارتقاء إليه حتى يُزاح الذي

فوقك فليس من شواغر فالعطاء ليس واسعاً ، لكن الله تعالى يَسَع فضله الخلق كله ، فلا يحسد إلا الجاهِل قال المعافىٰ بن زكريا :

أيا حاسداً لي على نعمتي أتدري على من أسَأت الأدب
أسأت على الله في فِعله لأنك لم ترض لِي ما وهب

فليثق المرء بعطاء ربه وليطلب منه فهو سبحانه واسع عليم ، فالإنسان عطاؤه محدود لكن الله واسِع ولا حدود لِفَضْله ، فَبَدَلَ أن تحسد الناس اِسْعَ في طلب ما عند الله كما طلبوا من الله لذلك قال تعالى :

﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [آل عمران : ٧٣] .

لو أن العِباد كلهم كانوا كَمُحمَّدٍ ﷺ لأَعْطاهم مِثل ما أعطى محمّداً ـ طبعاً إلا النبوة ـ ، والله واسِع عليم ، فاسم الواسِع يتناقض مع الحسد ؛ لأن الحاسد لا يرى ما عند الله من خير عميم ؛

عن أبي هُرَيْرَةَ قَالَ قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي صَلاةٍ وَقُمْنَا مَعَهُ فَقَالَ أَعْرَابِيٌّ وَهُوَ فِي الصَّلاةِ : اللَّهمّ ارْحَمْنِي وَمُحَمَّدًا وَلا تَرْحَمْ مَعَنَا أَحَدًا فَلَمَّا سَلَّمَ النَّبِيُّ ﷺ قَالَ لِلأَعْرَابِيِّ : « **لَقَدْ حَجَّرْتَ وَاسِعًا** » يُرِيدُ رَحْمَةَ اللهِ . [رواه البخاري] .

اللهم ارحمني ومُحمَّدا ولا ترحم معنا أحداً ، فقال عليه الصلاة والسلام : لقد حجَّرْتَ واسِعاً ، لو أن الخلق جميعاً كانوا على أتقى قلب رجلٍ في البشر لَوَسِعهم فضل الله عز وجل ، كلمة واسع كلمة رائعة جداً ؛ والله واسع عليم قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ ، أي : يعطيه من يشاء من عِباده .

وقال تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [المائدة : ٥٤] .

لا تحسُد ولا تتمنّ ما عند أخيك بل أُطلب من الله ولا تتمنّ ما فضَّل الله بعض الناس على بعضهم ، وأصغِ سمعك لقول الشاعر ففيه معنى رائع في الموضوع الذي نحن فيه :

ملِـــك الملـــوك إذا وَهَـــب لا تســـألَـــنّ عـــن السبـــب

وأنا عدّلْته وقلت :

ملـــك الملـــوك إذا وهـــب قُـــم فـاسْـألـنّ عـن السبـب
الله يعطـــي مـــن يشـــا ء فَقِـــف علـــى حـــدِّ الأدب

لاتحسدْ ، وإنما تنافس مع أخيك دون أن تحْسُده ، قال تعالى :

﴿ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴾ [المطففين : ٢٦] .

لأن فضل الله واسع يؤتيه من يشاء ، وقال تعالى :

﴿ وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [النور : ٣٢] .

لو كان إنسان يساعِد الفقراء لَضَجِر وتبرّم أحياناً ، وقال : كفاكم ، لقد سَئِمت لأنه ليس واسعاً ، ولكنهم لو سألوا الله عز وجل لوجدوا عطاءه واسعاً دافقاً ، وقد قال رسول الله فيما يرويه عن ربه تعالى :

« يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ

وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إلا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ ، يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا ، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلا يَلُومَنَّ إلا نَفْسَهُ » . [رواه مسلم] .

كُن فَيَكون وزُلْ فيَزول ، هناك أشخاص لهم مبالغ طائلة أربعة آلاف مليون دولار ، فهذا الإنسان لو اشترى أفضل منزل وأفضل جزيرة وأفضل يَخْت ، هناك يُخوت ثمنها عشرون مليون دولار ، لربما ضاق ذرعاً خوفاً على المال أن ينفد ، والنبي عليه الصلاة والسلام ماذا قال فيما يرويه عن ربه : « فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إلا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْر » .

اركب البحر واغمس إبرة فيه وارفَعْها ثم انظر ماذا أخذت من ماء البحر ، فهذا الذي أخذته هي الدنيا والبحر هو الآخرة ، و الله واسع عليم ، فالإنسان مهما غنِيَ وتنَعَّم وقوِيَ وانغمس في الملذات والشهوات كل هذا لا يساوي من الآخرة مثقال ذرة إطلاقاً : عَنْ سَهْلِ ابْنِ سَعْدٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ » . [رواه الترمذي] .

فالدنيا لا تعدل عند الله جناح بعوضة ، قال تعالى : ﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴾ [النساء : ١٣٠] .

يعني إذا أساء الزوج إساءة بالِغة لِهذه الزوجة وتَفَرَّقا يُرْسِل الله لِهذه الزوجة المظلومة زوجاً أغنى وألطف وأحب ، والله واسع عليم .

قال تعالى :

﴿ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ

أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام : ٨٠] .

وسِع ربي كل شيء عِلماً : أيْ لا تخفى عليه خافِيَة ، فالله يسمع دبيب النملة السمراء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء ، فهل تستطيع أنت أيها الإنسان أن تسمع دبيب النملة السمراء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء ؟ لذلك وسِع ربي كل شيء عِلماً ، وهل تستطيع أن تقرأ خواطِر الحاضرين معك ؟ الله واسع عليم .

كل تلك الآيات تبيِّن سَعَة فضْلِه وسَعَة عِلْمِه ، أما هذه الآية فهي تبيِّن سَعَة رحمته قال تعالى :

﴿ ۞ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف : ١٥٦] .

فهذه الآية مطمئنة ، تطمئن إليها النفوس حتى الجانحة منها فلعلها تؤوب ، فالله قال : ﴿ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ ﴾ فأنت داخِل رحمة الله عز وجل قال تعالى :

﴿ إِنَّمَآ إِلَـٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴾ [طه : ٩٨] .

وقال تعالى :

﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [غافر : ٧] .

فالإنسان العالم ليس بيَده شيء ، والإنسان الرحيم ليس بِعالم ، أمّا أن تجتمع الرحمة مع العِلم فهذا فضل واسع! فهناك رحمة مع جهل ، وعِلم مع قسْوَة لكن ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا ﴾

فاجْتِماعُهما شيء تلتذ به النفوس وتنشرح له القلوب ، تجد شخصاً من أذكى الخلق لكنه لئيم وقلبه كالصخر ، وأحياناً يقابلك شخص قلبه يفيض بالرحمة ولكنه جاهِل فلا هذا يعجبك ولا ذاك ، أما أن تجتمع هاتان الخصلتان قال تعالى : ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ .

وقال تعالى : ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات : ٤٧] .

هذه الآية تتفق مع أحدث نظرية في الكون وهي تمدّد الكون .

الواسِع هو المُطلق لا يشغله معلوم عن معلوم ولا شأنٌ عن شأن ولا مسموع عن مسموع ولا دعاء عن دعاء ، وسِع إحسانه جميع الخلائق ، ولا يمنعه إغاثة ملهوفٍ عن إغاثة غيره ، وبعض الأئمة يُرجِّحون أن اسم الواسع جاء عَقِب اسم المجيب ، وأنَّ التقدير إذا سأله سائل كيف يمكنه إجابة جميع الخلائق ؟ كيف يسمع أصواتهم مرة واحدة ؟ وكيف يعلم ضمائرهم دفعةً واحدة ؟ وكيف يستطيع تحصيل مراداتهم جميعاً ؟ الجواب هو واسع عليم .

قد يسأل المرء نفسه أحياناً كيف أن الله يستمع لِجميع المخلوقات ويُجيب جميع الخلائق ويعلم كل الضمائر ؟ والجواب إنه واسِعٌ عليم ، وكأن السعة والعلم متعلقان بِالمجيب والحديث الشريف :

« **إنكم لا تسَعون الناس بِأموالكم ولكن ليسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق** » ، المال يضيق ولكن الخلق أوسع .

ويحلو لي أن أختم البحث بما يلي : من أدب التَّخلّق باسم الواسع : أن يتَّسِع خلُقُك ورحمتُك لجميع عباد الله ؛ فقد يكون عطْفك كله لأولادك ، وأحياناً لأقربائك وتضيق دائرة رحمتك عن

الغرباء ، وتحب أسرتك وعشيرتك وقبيلتك ، أما المؤمن فكلما ازداد إيمانه اتَّسعت دائرة رحمته لِكل الخلائق .

عندما جاء جبريلُ النبيَّ ﷺ بعد أن اسْتَخَفوا به في الطائف وبعد أن سَخِروا منه وكذَّبوا دعْوَته وأَغْرَوا سُفهاءهم بِإيذائه :

عَائِشَة رَضِي الله عَنْهَا زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ قَالَ : لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلالٍ فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ فَنَادَانِي فَقَالَ إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ يَا مُحَمَّدُ فَقَالَ ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا » . [رواه البخاري] .

فالنبي عليه الصلاة والسلام قال : اللهم اهدِ قومي فإنهم لا يعلمون ، طبْعاً لا بد من باب الموازنة فما منا من أحد لو أساء إليه آخر إساءة بالغة إلا ويتمنى أن يُقَطِّعه إرْباً إرْباً لكن النبي ﷺ وسِعت رحمته خصومه وأعداءه والذين كذَّبوه وسخِروا منه واسْتَخَفوا به والذين أَغْرَوا سفهاءهم بِإيذائه هؤلاء وسِعتهم رحمة النبي عليه الصلاة والسلام ، فمن أدب التخلق بِهذا الاسم أن تتَّسِع رحمتك لِكل عِباد الله من كل الأجناس ، والمؤمن أوسع مدى من ذلك فحتى الحيوانات يرحمها ؛ إنكم لن تسَعوا الناس بِأموالكم فسعَوْهم بِأخلاقكم لذلك

فالنبي عليه الصلاة والسلام لما سمع الأعرابي يقول : اللهم ارحمني ومحمّداً ، قال له : لقد حجَّرْت واسِعاً .

أحد العلماء يقول : « **تأدَّباً مع اسم الواسِع ينبغي أن تتَّسِع دائرة عِلمك لأن الله عالم ويحب كل عالم وأن تتَّسِع دائرة إحسانِك ودائرة عَفْوِك لتشمل كل الناس** » ، فهناك قلب صغير وهناك قلب كبير يتَّسِع لكل الناس ولكل التجاوُزات والعَنْعَنات والحماقات ، ولكن هناك من ينفجِر قلبه ويضيق ويكيل الصاع صاعين ، والعوام يقولون : الوعاء الأكبر يتَّسِع للأصغر ، فأنت كلما كبرت عند الله اِتَّسعت نفسك لكل الخلائق ، والكبير يسَعُ الصغير ، والحليم يسع الأحمق ، والعالم يسع الجاهل ، والغني يسع الفقير ، فهذا هو التطبيق العملي لهذا الاسم وهو أن تتَّسِع في علمك ورحمتك وإحسانك وعَفْوِك .

الإنسان الواسِع يتّسع للحسود مثلاً ولغيره ، ولكل من أساء إليه لذلك : قال سهل بن عبد الله : كلم الله موسى بطور سيناء . قيل له : بأي شيء أوصاك ؟ قال : بتسعة أشياء ، الخشية في السر والعلانية ، وكلمة الحق في الرضا والغضب ، والقصد في الفقر والغنىٰ ، وأمرني أن أصل من قطعني ، وأعطي من حرمني ، وأعفو عمن ظلمني ، وأن يكون نطقي ذكراً ، وصمتي فكراً ، ونظري عبرة .

قلت : وقد روي عن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أمرني ربي بتسع : خشية الله في السر والعلانية ، وكلمة العدل في الغضب والرضى ، والقصد في الفقر والغنى ، وأن أصل من قطعني وأعطي من حرمني وأعفو عمن ظلمني وأن يكون صمتي فكراً ونطقي ذكراً ونظري عبرة وآمر بالعرف « وقيل » بالمعروف » رواه رزين .

* * *